جوته : حياته وفكره

بقلم غالي شكري

في منتصف القرن الثامن عشر (*) ، كانت اوروبا تعاني قسوة اجتياز احدى نقاط التحول في تاريخها . وكانت الفنون بدورها مرآة صادقة لهذه المرحلة الحضارية العصيبة ... فصورت الاداب المختلفة مدى القلق الذي يحسه الانسان في كل خطوة يخطوها نحو المستقبل ، بعد ان اصبح هذا المستقبل فجرا مجهول السماء . وكان الفنان الاوروبي ، تعبيرا حيا مخلصا عن هذه الفترة ، اذ ترى القلق هو السمة البارزة في انتاجه وحياته معا .

ولم يكن يوهان فولفجانج فون جوته (Johann Wolfgang Von Goethe) الاخلاصة نقية لمعالم ذلك العصر . ففي حياته اشتعلت حرب الاستقلال الامريكي ، والثورة الفرنسية ، والاصلاح الانجليزي ، وغيرها من معارك المجتمع الراسمالي الجديد ، مع بقايا المجتمع الاقطاعي المنهار . ولذا كانت ازمة التناقض بين القيم الاقطاعية القديمة ، وقيم المجتمع الصناعي الوليد ، هي الشرارة الرومانسية التي توهجت بها الاداب الاوروبية زمنا .

وموقف جوته من هذه الازمة، هو الموضوع الذي سافرت من اجله احدى الطالبات المصريات الى المانيا ، لتبحثه من خلال اثار واعمال الاديب الالماني الكبير . وهناك التحقت بمعهد جوته في برلين ، وزارت منزله في فيمار ، والتقت باكبر تلامذته ، ثم عادت ومعها ذخيرة حية ممتعة فقد سجلت في يومياتها كل ما رأته وسمعته وقرأته ، عن الفنان العظيم . وما زال — كلما اجتاحت اوروبا احدى الازمات — تعود الى مذكراتها ، فتستعيد في مخيلتها تفاصيل الازمة الكبرى ، لتي اجتمعت لرجل كبير كافة الوسائل للتعبير عنها .

موسيقى

فتاة تقرأ

* ما ان وطئت قدمي ارض المانيا ، حتى اخذت اتعجل موعد زيارتي لمدينة فرانكفورت . فهي من اقدم المدن الالمانية ، على ضفاف الماين حيث ولد جوته في الثامن والعشرين من شهر اغسطس عام ١٧٤٩ . وما زلت اذكر ما قرأته من ان والده كان من ذوي اليسار ، رغم ان الاسرة لم تكن تمت الى اصل ارستقراطي . فقد كان جده حائكا نزل بمدينة فرانكفورت وزاول فيها مهنته ، حتى جاءه الطالع السعيد في صورة زوجة ثرية تملك فندقا يدر عليها رزقا حسنا ، فانقلب الحائك الماهر الى مدير فندق ، ومن هذه الزوجة انجب ولدين ، اصغرهما يوهان كاسبار جوته والد الشاعر .

وقد استطاع هذا الوالد ، ان يعوض في التعلم والثقافة ، ما كان يعوزه في ناحية النسب ، فدرس الحقوق وارتقى السلم الاجتماعي حتى اصبح يعد من ارقى فئات الطبقة المتوسطة في فرانكفورت . ثم نجح في الزواج من اسرة غنية ، كان شاعرنا اولى ثمراته . فاذا قلنا ان الفقر استاذ النبوغ ، فان جوته قد حرم هذا المعلم . واذا كان الناس قد الفوا ان يسمعوا ان طفولة النوابغ من الرجال هي طفولة عادية لا تنم عما سيؤول اليه الطفل فيما بعد ، من العظمة والنبوغ ، فان جوته — من غير شك — قد خرج على هذه القاعدة ، حين اتقن اربع لغات اجنبية، ولم يتجاوز الثامنة من عمره . وفي التاسعة ، بدأ يكتب قصصا صغيرة ليسلي بها اخاه الصغير ..

على اية حال ، سأذهب الى فرانكفورت ، المدينة التي احتلتها جنود فرنسا ، وجوته على اعقاب العاشرة ، فكان يشاهد المسرح الذي انشاوه. وبلغ من اعجابه بالروايات الفرنسية ، ان انكب على دراسة الادب الفرنسي ، ومحاكاته في كتابة قطعة ضعيفة خيل اليه تشابه تلك التآليف المسرحية ، الى ان انجلى الفرنسيون عن فرانكفورت عام ١٧٦١ ، وعاد جوته الى الدراسة المنتظمة في دار ابيه .

نقلة موسيقية

الفتاة تقرأ

* ما ان وصلت الى هنا ، حتى دعيت الى مشاهدة الاوبرا ، حيث كانت تمثل قصة جوته « اشجان فرتر » وهي قصة غرامه البكر ، الذي وقع فيه على اثر زيارته لمدينة فتزلر Wetzler بعد انتهائه من دراسة القانون .. وهناك التقى بابنة قاضي المدينة التي نفذت من شغاف قلبه على الفور . وابتسمت حين رأيت المسرح يكاد يخلو من النظارة كبار السن . فقد كان اغلب المتفرجين من الشباب . ورفع الستار عن الفصل الاول حيث تقيم شارلوت ابنة الحاكم في قصر ابيها ، ثم يدخل ابن عمها فرتر .

موسيقى الافتتاح

فرتر — شارلوت .. ما زلت احبك ، واريد الفوز بك ، ولست ادري ما السر في احجامك عن الزواج بي ؟

شارلوت — (في اسى) — ان ابي مصمم على تنفيذ وصية امي (تتنهد) قالت له : زوجها من البرت ، صديق العائلة الثرى .

فرتر — ولكن .. امن اجل امك وابيك تبيعين سعادتك ؟ تبا لهؤلاء الاباء الذين يحتفظون لانفسهم بحق زواج اولادهم بمن يريدون هم ، لا بمن يريد الابناء والبنات ...

شارلوت — وارى ، انه من واجبي ، ان اكون عند حسن ظن ابي، وامي كذلك .

فرتر — (في ضيق) باي حق ، تقولين هذا ؟ هل في ايديهم مفاتيح مستقبلك ؟ ام انك صاحبة الحق في هذا المستقبل من العبث ان ينظر الانسان خلفه .. انت تغالطين !

شارلوت — نعم ، انني اغالط نفسي ، وهذا هو شعوري بواجبي نحو ابي وامي ، والشعور بالواجب ، اسمى مراتب الاخلاص في الحياه.

فرتر — هناك فرق بين الاخلاص للحياة ، والاخلاص للمستقبل — فالاول اخلاص مجرد ، والثاني اخلاص فيه نوع من الجهاد المحبب ..

شارلوت — ما هذا التفلسف ايها الشاعر الصغير ؟ قلت ، يجب ان افي بوعدي لابي وامي ، وسأتزوج من ...

فرتر — (مقاطعا) تتزوجين من ؟!

شارلوت — انني احبك يا فرتر من كل قلبي .. اوشك ان اعبدك ... ولكن .

(تبكي)

فرتر — ولكن .. ماذا يا حبيبتي ؟

(*) برنامج تمثيلي كتب خصيصا للاذاعة — جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

شارلوت ـ اخشى غضب ابي .

فرتر ـ هدئي من روعك ، فليس ابوك وصيا عليك. انت شابة، وعاقلة ، ولك تفكيرك .. وعليك انت فقط عبء مستقبلك .

شارلوت ـ انني حائرة .. رباه .. معونتك ..

فرتر ـ يا حبيبتي ... ان الضعف يورث الجبن ، انظري الى حبك فقط نظرة جريئة ، ثم اغضبي غضبتك ، وقفي وقفتك . كوني عاقلة ، لك شخصيتك المستقلة وارادتك الحره .

شارلوت ـ (ساهمه) : ماذا سافعل بثروة البرت يا الهي ؟

فرتر ـ (ثائرا) ان زواجك من البرت ، فيه موتي .

(تبكي شارلوت وترتمي في احضان فرتر مع موسيقى)

(يعود صوت الفتاة صاحبه المذكرات)

* حتى اذا كان الفصل الثاني رفع الستار عن جانٍ صغير ، يجلس فيه فرتر منفردا ثم يدخل عليه البرت وهي صحبته شارلوت ، وقد تزوجت به منذ شهور ، ونرى فرتر يرحب بالعروسين .

البرت ـ حقا .. ما اسعدني بشارلوت يا فرتر !

فرتر ـ (ضاحكا) قد تكون سعيدا ، ولكنك بنيت سعادتك على الاوهام . على حطام السعادة التي بناها الاخرون .

البرت ـ (غاضبا) غيرة حقيرة !

شارلوت ـ (منزعجة) لا تحقد هكذا يا البرت ، فانت زوجي . ولا تنس كذلك ان فرتر ابن عمي .. وشاعر حساس و ...

البرت ـ (يقاطعها متهكما) محامية بارعة ..

فرتر ـ اتركيه يا شارلوت ، فقد اعمته ثروته عن الحقيقة .. ما اتعسنا بالاغنياء اذا اشترونا بالمال !

البرت ـ (ما يزال في تهكمه) شاعر المانيا العظيم ، بلا منازع !

فرتر ـ كفاك سخرية ، واحترم من معك ..

شارلوت ـ فرتر ، اهدأ قليلا ..

فرتر ـ البرت ، اعلم ان زواجك لم يحزنني قدر حزني على شارلوت وكلانا ليس مسئولا عن هذا الخطأ . ومن تسبب في هذا كله ، عليه ان يحمل الوزر كاملا ، هو والدها . عمى .. ومن قبله امها .. زوجة عمي!

شارلوت ـ لا تحفر قبور الموتى يا عزيزي

فرتر ـ لو كانوا يدرون .. او يعلمون .. اذن ، فما كنا ناسف الان.

البرت ـ بكم تبيع هذه المعاني ايها الشاعر الرفيق ، والفيلسوف الحكيم ؟

فرتر ـ بالدنيا كلها .. ولا تساوي ..

البرت ـ هيا بنا يا شارلوت

شارلوت ـ الى اين ؟

البرت ـ بعيدا عن الحان .

فرتر ـ لا .. استريحا .. انا الذي يجب ان انصرف .. لا ، عن الحان فحسب ، بل عن مدينة فتزلر باكملها . وداعا ..

موسيقى ـ يعود صوت صاحبة المذكرات

* ان فرتر لم يستطع ان يكبت عواطفه نحو شارلوت ، فنراه ينحني ويومىء اليها براسه ، ثم يحييها ويغادر المكان ، ونعرف فيما بعد ، انه هاجر الى مدينة اخرى ، لعل جذوة الحب تنطفيء في قلبه. فاذا كان الفصل الثالث ، رفع الستار عن منزل البرت ، وتظهر زوجته شارلوت بمفردها ، وفجاة .. يدخل فرتر .

شارلوت ـ (وقد اذهلتها المفاجاة) : فرتر ؟ ماذا جاء بك الى هنا ؟ الم تترك فتزلر منذ بعيد ؟

فرتر ـ حبي لك ... لم اقدر على مقاومته ، فعدت سريعا اطلب رؤيتك ، انشد عطفك ، بل حبك ..

شارلوت ـ لقد مضى ما كان .. واصبحت زوجه ، وواجبي يقتضيني ان افي لبيت الزوجية .. من العاران اخون زوجي ، حتى مع من احب .

فرتر ـ حاولت يا شارلوت ، بكل قواي ، ان اطرد شبح حبي لك، ولكنني اخفقت.لقد دنا اليأس مني، وهدني وذقت مرارة الحياة بدونك.

شارلوت ـ والان ، عليك ان تنصرف قبل ان يأتي البرت فيراك .. انسيت ما حدث ؟

فرتر ـ لم انس .. ولكن الا تسمعين هتاف قلبي يناديك ؟ اما زلت تغالطين ؟

شارلوت ـ (منهارة) انني لست بمستطيعة ان اقاوم الدموع ، فاتركني .. دعني بربك .

شارلوت ـ الواجب .. الواجب .. دائما هذه الكلمة (يتهدج صوته) على اية حال ، وداعا يا حبيبتي .. وداعا ليس من بعده لقاء..

ـ موسيقى ـ يعود صوت صاحبة المذكرات ـ

* ويرحل فرتر محزونا ، بعد ان ترك رسالة مغلقة مع احد الخدم .. فما ان يصل البرت حتى يتسلمها ، وياخذ في قراءتها بصوت عال .

صوت فرتر : « البرت .. ارجو ان تقرأ رسالتي هذه باهتمام فلقد قررت ان اتركك لتعيش سعيدا مع زوجتك ، ولا اريد ان اكدر صفو حياتكما .. لذلك قررت ان ارحل بعيدا عنكما . لي رجاء اخير ، ان ترسل لي مسدسك ، حيث اني في حاجة اليه .. مع شكري » ..

موسيقى

البرت ـ (ينادي الخادم) تعال .. سلم هذا المسدس الى فرتر في مسكنه ، وعد فورا ..

الخادم ـ لن اغيب يا سيدي (يخرج) ـ (تقبل شارلوت مسرعه)

شارلوت ـ ماذا جرى يا البرت ؟ مسدس ؟ لمن ؟

البرت ـ طلبه فرتر في رسالته هذه (يناولها الخطاب)

شارلوت ـ فرتر ؟ انه سوف يقتل نفسه (صارخة) يقتل نفسه البرت .. انني المسؤولة الوحيدة عن موته .. يجب ان ننفذه . انا السبب .. انا السبب ..

(تندفع باكية الى الخارج ـ موسيقى)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* ونرى منزل فرتر في الفصل الرابع . تدخل شارلوت وهي

في المكتبات

انا وسارتر والحياة

بقلم سيمون دوبوفوار

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة قصتها مع الرجل الذي كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المغامرة التي ادت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى جانبه . وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة .

قصة رائعة ، عميقة ، نابضة بالحياة

منشورات دار الاداب ـ بيروت

الثمن اربع ليرات لبنانية او ما يعادلها

تنتحب . تفاجا بفرتر ممددا على الارض والدماء تنزف من جراحه بغزارة ، وما يزال يعاني سكرات الموت ..

شارلوت ـ فرتر .. حبيبي .. ماذا دهاك يا حبيبي . تكلم لـم كل هـذا ؟

فرتر ـ (في حشرجات الموت) دعيني .. دعيني اذهب يا حبيبتي .

شارلوت ـ انني المذنبة .. انا المسئولة ..

فرتر ـ وامك وابوك مسئولان كذلك ..

شارلوت ـ (صائحه) فرتر ... استدعي لك الطبيب ؟

فرتر ـ (بصوت متحشرج) لقد انتهيت .. انتهيت ... الى اللقاء

موسيقى حزينة . يعود صوت الفتاة

* وتتوقف انفاسه ، وتصمت دقات قلبه ، بينما تنخرط شارلوت في البكاء ، وتنادي باعلى صوتها ، وهي تحتوي جسد فرتر بين ذراعيها.

شارلوت ـ فرتر .. حبيبي.. لو جمعوا وفاءك ووزعوه على الكون كله ، لاصبح الناس جميعا اوفياء .. ولكني انا التي خنت عهدك .. انا لم اف بوعدك .. انا ..

(موسيقى)

* وتسترسل في النشيج ، ثم يسود صمت حار ، تشوبه الدموع والانات ، بينما تتصاعد الاصوات منشدة اغاني دينية هادئة تودع الحبيب الذاهب . وتظل الاناشيد لفترة ، ثم تصمت رويدا رويدا ، حتى يسود السكون وينزل الستار .

(موسيقى)

(يعود صوت الفتاة متأثرا حزينا)

* وعلى باب المسرح ، شاهدت جمعا من الشباب والفتيات ، يعلقون على مناظر القصة ، فتتبعتهم استمع الى احاديثهم .

(ضجيج اناس يتزاحمون في الخروج من المسرح)

شاب ـ هناك فرق كبير بين الاسلوب الدرامي للقصة ، والقالب

اخر ـ لا شك .. فان جوته كتبها على هيئة رسائل موجهة من الروائي الذي كتبت به قبل ان تعد للمسرح ..

البطل الى احد اصدقائه ...

فتاة ـ كذلك ، هناك فرق بين القصة الاصلية التي كان بطلها المؤلف نفسه ، وبين القصة التي كتبها

شاب ـ نعم .. رغم ان جوته آثر ان يدعو ابطاله بنفس الاسماء التي كانت لهم في واقع الحياة . اذ بعد انتهائه من دراسته الجامعية زار بالفعل مدينة فتزلر ليمارس فيها عمله القانوني ، وهناك التقى بابنة القاضي ، شارلوت التي وقع في غرامها رغم علمه بانها مخطوبة الى البرت ... ولكنه في النهاية اثر ان يبتعد عنها وينطوي الامه في قلبه المحزون ...

الفتاة ـ اذن ، لماذا اثر ان يشجع بطل القصة على الانتحار ، رغم انه هو لم يفعل ؟

الشاب ـ ذلك ان صديقا له يدعى اورشليم كان قد انتحر بالفعل على اثر غرام غير متكافيء ، فقد احب فتاة من طبقة تعلو على طبقته ، ومن ثم كان حبا من طرف واحد ، انتهى به الى هذه الهاوية . واستلهم جوته تفاصيل روايته فرتر من مأساته الشخصية ومأساة صديقه معا .

اخر ـ ولكن هذه النهاية الفاجعة ، كانت سببا في اغراء من قرأها من شباب ذلك العهد البعيد ، بالانتحار يأسا من الحب الفاشل .

الفتاة ـ اعتقد ان جوته مظلوم في هذا الاتهام ، لان الرواية لـم تكن الا مرآة صادقة لذلك العصر .. حيث كانت اوروبا كلها تقاسي الام المخاض .. آلام مرحلة الانتقال المريرة ، من قيم المجتمع القديم ، الى قيم المجتمع الجديد ...

الشاب ـ هذا صحيح ، فقد طحنت هذه المرحلة الرومانسية كافة المقاييس الكلاسيه المتعارف عليها.. سواء كان ذلك في ميادين الاقتصاد او الاجتماع .. وهكذا وجد الانسان الرومانسي قبل ان يوجد الفنان الرومانسي..

الفتاة ـ الادق ان يقال ان كليهما وجدا معا .

الشاب ـ ومن هنا نجحت « فرتر » رغم كل شيء ... بينما فشلت مسرحيته الاولى جوتس Gots التي اراد فيها ان يلتمس الالهام من الروح الجرمانية ممثلة في تاريخ المانيا .

اخر ـ اظن ان لقاء جوته بهردر Herder في ستراتسبورج حيث كان مدرسا في جامعتها كان له اثره الفعال في هذا الاتجاه الكلاسي عند جوته . فقد اشتهر هردر بمؤلفاته عن اصول الادب ، واخذ يبث في جوته تعاليمه التي يدين بها ، وتنحصر هذه الجهود في توجيه جوته نحو الادب القومي ، كما يبدو في التوراة واشعار هوميروس وشكسبير .

الفتاة ـ انني لا ارى هذه الكلاسية التي تتحدثان عنها . فقد تعمد جوته ان يسبغ على هذه الرواية الثوب الجرماني ويبث فيها روح الثورة على التقاليد القديمة . ولهذا كان لها صدى عظيم في عالم الادب . ونحن قد نتوهم اليوم انه من العجيب ان تحدث ضجة في المانيا لان شاعرا عظيما من شعرائها اراد ان تسود الروح الجرمانية ، وجاهد ببطولة في هذا السبيل . هذا ويبدو غريبا لاول وهلة ، ولكن لنذكر ان ملك بروسيا فردريك الاكبر الذي عاصر جوته ، كان يحتقر الاداب والفنون الجرمانية ، ولا يتكلم في بلاطه بغير اللغة الفرنسية ، ولا يسود في بيئته غير الادب الفرنسي ، فاذا كان الناس على دين ملوكهم ، فاي جهاد هائل كان محتما على امثال جوته وشيلر ، حتى يستنهضوا الروح الجرمانية في الادب الالماني ؟

الشاب ـ المهم .. انه غدا في معهد جوته ، ستقام ندوة ادبية يتحدثون فيها عن اهم فترات عمره ، تلك التي قضاها في فيمار ..

فاصل موسيقي ـ يعود صوت صاحبة المذكرات

* كان الحفل صغيرا لقادمين الجدد . تحدث فيه البعض عن اقامة الشاعر الكبير في هذه المقاطعة . ودوقية ساكس فيمار قسم صغير من تلك الاقسام التي كانت المانيا منقسمة اليها ، وفيمار عاصمة الدوقية بلدة صغيرة على نهر الالم ، احد روافد الالب ، من بقايا بلدان العصور الوسطى . وكان سكانها قليلين يعيش اكثرهم على الزراعة وحالتهم لا تختلف عن حالة الفلاحين في اوروبا في العصر السابق للثورة الفرنسية. ومع ان موارد الدوقية ضئيلة جدا ، فانها اصبحت في عهد اميرها كارل اوجست ، مجتمع الادباء والعلماء والفنانين ، حيث كان الامير يهوى الشهرة القائمة على اقتران اسماء الحكام والملوك ، بعظماء العلم والفن. وفي عام ١٧٧٥ كان جوته قد بلغ السادسة والعشرين ، واصبح اسمه بفضل ما اخرجه من الشعر الغنائي البديع حديث الاندية الادبية في المانيا، وفي كثير من الاقطار الاوروبية الاخرى. في تلك السنة حدث ان التقى جوته بكارل اوجست . كان اللقاء الاول بينهما في كارلسروهي Karlsruhe في ولاية بادن اثناء تجواله في سويسرا . وهناك تعارفا ، ثم دعا الدوق الى زيارة فيمار ، والح عليه في ذلك حين التقى به ثانية في فرانكفورت. وقد عارض والده في اتمام الزيارة بادىء الامر، ولكن استاذ مرك Merk نصحه بالذهاب لبضعة اسابيع .. بينما شاءت الاحداث ان يتخذ جوته من فيمار وطنا جديدا مدى الحياة .

وفي الحفل وقف احد النقاد الاجانب ، يتحدث عن اوائل هذه الفترة في حياة الفنان العظيم .

(موسيقى)

الناقد ـ لا اعتقد اننا نسينا ذلك القلب الجريح الذي كان يخفق بين اضلع الضيف الجديد . فكان سهلا يسيرا على هذا الوجدان الملتهب ، ان يستجيب للطارق الاول ، الذي تمثل في البارونه دي شتين Sten وصيفة شرف الدوقة والده الامير . ولم تكن هذه السيدة على قسط وافر من الجمال ، ولكنها كانت ذات مواهب عقلية ممتازة ، وارادة قوية استطاعت بها ان تفتن جوته ، وان تسيطر على عواطفه الجامحة ، حتى انه ناداها في احدى قصائده :

جوته ـ انت تعرفين كل حركة في ضميري ،
وتلمحين كل هزة في وشائجي وعروقي
وتستطيعين بنظرة منك ان تقرأيني
انا الذي طالما تعبت عيون بني الفناء

.. في النفاذ الى سريرتي
انت تسكبين السكينة في دمي الفائر ...
وتقومين خطاي الشاردة الهوجاء

الناقد ـ وجوته يعني ما يقول ، ففي هذا الخطاب بيان لسر هذا العشق الذي قام على تفاهم الفكرين وتقارب النفسين . وما كان جوته بالمخدوع في ذكائها فقد شهد صديقه شيلر بعظمتها ، في اعجابه بها ، وما كانت على عيني شيلر غشاوة الحب التي تحجب الحقيقة عن المحبين . وهكذا قضى جوته تسع سنوات في فيمار موزعا بين المناصب الرفيعة التي القيت اليه مهامها ، والملاهي التي كان يلهوها مع الامير، وحبه للبارونه دي شتين . ولكن هذا جميعه لم يلهه عن الادب والعلم. واذا صح انه لم ينشر كتابا في ذلك العهد الا انه كتب مسرحية ايفجنيا نثرا ، وبدأ في تأليف قصة فلهلم ميستر ، ونظم شعرا كثيرا ، ودرس بعض العلوم كالطبيعة والكيمياء والنبات .»ويعلق جوته على هذه الفترة ، فيقول :

جوته ـ « ... وقد اتعبني هذا العمل الطويل ، واضناني . ولعل ذلك الهوى كان يعذبني ، ويؤرقني بين حين وحين ، فنهكت قواي ، وضعفت اعصابي. ثم استأذنت الجميع كي استجم في الخارج قليلا .. وكنت اقصد في حقيقة الامر ان اهرب الى مكان بعيد .. بعيد جدا. واذا سألتني ، ما اذا كان الامير والبارونه يعرفان سرى ، فاني اكاد اجزم ، بانهما كان يعرفان بعضه ، ويجهلان البعض الاخر.

(موسيقى)

يعود صوت صاحبة المذكرات

* وهكذا سافر الى ايطاليا ، قاصدا الاستمتاع بعظمة اثارها ، فلم يكد يجتاز حدودها ، حتى اخذ يهتم بالمظاهر الفنية البارزة في كنائسها وقصورها ومتاحفها . وقد احدثت الاشهر الاولى التي قضاها في الدرس تطورا كاملا في عقله وفيه معا . كان في بداية حياته يدين بمذهب الاتقياء من سكان فرانكفورت ، ويرضى بمبادىء المسيحية . ثم تحول الى مذهب « وحدة الوجود » الذي اخذه عن سبينوزا ، ثم اتخذت هذه الفلسفة في ذهنه شكلا علميا بعد ان درس العلوم الطبيعية حتى اذا حل بايطاليا صار لا يعني بغير الفن القديم ، ويصدف عن كل ما خلفته المسيحية من اثار . وقد اختار جوته ، وهو في حالته النفسية والعقلية التي اشرنا اليها ، الفن اليوناني ، مبررا ذلك بقوله :

جوته ـ ان النسيم الذي يهب من القبور القديمة يحمل عبقا ، كأنما اكتسبه من حديقة حافلة بالورود . اننا لا نجد فيها فرسانا ساجدين في خشوع انتظارا لبعث سعيد . لقد مثل الفنان فيها الرجال ببساطة، فلاهم يضمون ايديهم ، ولا هم ينظرون الى السماء ، لكنهم مماثلون لما كانوا عليه طيلة حياتهم .

* وفي احدى الامسيات ، كان في احد مسارح روما ، يشاهد اوبرا تروي قصة « مينون » بطلة روايته « فلهلم ميستر » التي اصبحت فيما بعد شخصية هامة في الآداب العالمية . وقصة مينون هي قصة المجتمع حين يقسو في تنكره للانسانية وقصة الحياة التي لا تلبث ان تضع الامور في نصابها . ولكن .. كم من البشر ، يؤمنون بالحياة ؟ هنا يبدأ الصراع ، ويذكو النضال ، ويبدأ القلم العبقري في النقد والتحليل . تبدأ الاوبرا بانغام حزينة تنبعث من حانة تغص بالمغنيات والممثلات . ونرى الموسيقار صاحب الالحان الباكية في ركن منزو ، وبجانبه فتاة شاحبة ما تلبث ان تسمع صوتا يناديها ، هو صوت رئيس الفرقة .

(موسيقى)

الرئيس ـ مينون ... مينون
مينون ـ دعني يا سيدي ، فلن ارقص الليلة
الرئيس ـ هيا يا مينون .. ليس امامنا من الوقت ما نضيعه في لغو وهذر .
مينون ـ انت الذي تضيع الوقت .. قلت لك ، لن ارقص .
يعلو الضجيج حول الاثنين ، ثم يدخل شاب غريب شاهرا مسدسه

فلهلم ـ دعها تمضي .. والا ..
الرئيس ـ وترفع المسدس ؟ من انت ؟
فلهلم ـ دعها تمضي اولا ، واذا لم تشا ، فانا استطيع .
يذهب الرجل ، وتمضي مينون ، بينما تنادي الشاب الجريء احدى الممثلات .
الممثلة ـ منذ ان جئت الى هنا ، لم ار شابا جريئا مثلك .
فلهلم ـ هراء .. فكل انسان شجاع ، ولكن هناك اوقات عصبية ينبغي لهذه الشجاعة فيها ان تتوارى قليلا عن خشبة المسرح.. اعني مسرح الحياة .
الممثلة ـ انك لبق .. تخاطبني من الزاوية التي ترضيني كممثلة.
(فلهلم يلمح مينون)
فلهلم ـ هذه مينون .. هاي مينون .. تعالى (يتكلم بهدوء ، بعد ان اقبلت) اي جمال استشعره في مناداتك باسمك !
مينون ـ الجمال ؟ اين هو ؟ انه هناك حيث الزهور في لون البنفسج ، والاشجار السامقة ، وكانها تريد ان تقبل السماء ، والشاطىء الحبيب عند البحيرة (تتنهد) .. ما اسعد حياتي عندما كنت اجلس هناك ، فتصفعني الامواج بمياهها الرقراقة الجارية .
فلهلم ـ ماذا يا فتاة ؟ هل انت شاعرة ؟
مينون ـ كلا .. بل ظمأى الى الحياة .. الى العودة .. تحبب الى الخيال .. الخيال البعيد ..
(يقبل الرئيس وفي يده ورقة)
الرئيس ـ (مخاطبا مينون) اريد ان اسمع منك كلمة واحدة . ستعملين ام لا ؟
فلهلم ـ (محتدا) لن تعمل .. ساحررها في التو واللحظة.
الرئيس ـ (متهكما) يشرفني ذلك .. اهل تستطيع ؟
فلهلم ـ (في كبرياء) مهما طلبت .. انا فلهلم ميسترا
(موسيقى)
(مينون ، والموسيقار الحزين)
مينون ـ لوتاريو .. شاركني فرحتي .. لقد صرت حره ... كانت هذه امنيتك .
لوتاريو ـ دعيني يا مينون .. ان الفرح لا يعرفني
مينون ـ ما هذا التشاؤم ؟ يجب ان تنسى
لوتاريو ـ النسيان يا ابنتي دواء صعب المنال ، فها انذا بعد هذه السنين الطوال ، لم اعثر منه على قطرة واحدة .
مينون ـ (بحزن) هل كانت جميلة ، ابنتك هذه التي فقدتها ؟
(موسيقى ، بينما يبتعد الاثنان وتظهر الممثلة التي احبت فلهلم، ومعها شاب اخر تقدمه اليه)
الممثلة ـ وهذا هو الصديق فردريك .. هل تعرفه يا فلهلم ؟
فلهلم ـ (بغيظ) لم انل هذا الشرف بعد ..
الممثلة ـ سمعت ان البارون ، قد دعانا للتمثيل هذه الليلة ، اتاتي معنا ؟

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

فلهلم ـ ارجو ذلك .
(موسيقى ـ تذهب الممثلة وصديقها ـ يبقى فلهلم وتقبل مينون)
مينون ـ هل ستذهب يا فلهلم ؟
فلهلم ـ هل سمعت ؟ اني حائر
مينون ـ بل ستذهب ، وساكون معك في ثياب الخدم .
(يمضي الاثنان ، بينما يظل لوتاريو وحيدا مع الحانه الحزينة)
(موسيقى ـ فلهلم في غرفة الممثلة ومعه مينون متخفية)
الممثلة ـ اهذا انت يا فلهلم ؟ ان البارون يود ان يراك .
فلهلم ـ هيا بنا .. هيا ..
(يذهبان . مينون في دولاب الملابس يدخل فردريك)
فردريك ـ (غاضبا) ساعرف البارون كل شيء. لقد جعل من هذا المكان ماخورا دون ان يدري . (صوت يأتي من الخلف)
فلهلم ـ ومن اتى بك الى هذا المكان ؟
فردريك ـ (صائحا) اظن ، هذا السؤال من حقي انا .. انا وحدي ، دون غيري .
فلهلم ـ (متحديا) اتبغي النزال ؟
فردريك ـ اشكرك .. انني ذاهب الان .
(خطوات تبتعد .. تخرج مينون من مخبئها)
فلهلم ـ يا الهي ... ما هذا يا مينون .. ماذا فعلت بنفسك ؟
مينون ـ ابدا .. رايت ادوات الزينة ، فاخذت اجربها في وجهي.. الست جميلة ؟
فلهلم ـ يا الهي

(تدخل الممثلة فجاة)

الممثلة ـ لقد تاخرت يا صديقي .. يا الهي .. ما هذا يا فتاة ؟
مينون ـ ماذا تعنين ؟
الممثلة ـ هذا الجمال . هذه الفتنة .. هذه الغيرة ..
فلهلم ـ الغيرة ؟ ممن ؟
(نقلة موسيقية)
(الجمهور يهتف للممثلة . مينون تبحث عن فلهلم . تلتقي فجاة بلوتاريو)
مينون ـ اتسمع يا لوتاريو ؟ ان اسمها قد جاوبت اصداؤه اقصى المدينة .
لوتاريو ـ لو كانت ابنتي هنا ، لنبوات القمة .. لا هذه التافهة .
لوتاريو ـ والعزف والغناء .. اين هي اين انت يا حبيبتي ؟.. رباه ، اما تستطيع ان تدلني على مكانها ؟ (صدى هتافات)
مينون ـ اتسمع ؟ .. ان الهتاف باسمها يكاد يخترق السماء.. ليت النار تلتهم هذا القصر . فلا اراه بمن فيه .
(موسيقى تصور ضجيج نهاية الحفل)
(مينون ولوتاريو مرة اخرى)
لوتاريو ـ مينون . علينا ان نخرج فورا .. لقد حرقت القصر .
مينون ـ واين فلهلم ؟
لوتاريو ـ لا اعلم .. هاي ، ها هوذا .. انه آت ..
مينون ـ وهي ايضا .. انها تريد اللحاق به .
(تتقدم منها الممثلة بلهجة تفيض بالاحتقار)
الممثلة اعطيني يا فتاة ، باقة الزهور التي تركتها فوق المسرح ... اوه « ضجيج » .. « صارخة » المسرح يحترق . يحترق ، اين فلهلم؟ يا الهي ..
(تهرول خارجه بينما يظهر فلهلم)
فلهلم ـ مينون ، يا حبيبتي .. هدئي من روعك .. لقد رايتها تهرول من الباب الجانبي ، فانتهزت الفرصة واخيرا هاانذا يا حبيبي.
(موسيقى)
الموسيقى تصور مكانا جميلا بالقرب من الشاطيء حيث استاجر فلهلم قصر جميلا
فلهلم ـ ما رايك يا مينون في اصطحابنا لوتاريو الى هذا المكان؟
مينون ـ رأيي ؟ لا شك انه سعيد رغم حزنه (في صوت متهدج)
انني احس اني لست غريبة على هذا المكان . فها هي الزهور في لون البنفسج ، والشاطيء الحبيب عند البحيرة ..
(يدخل عليهما لوتاريو فجاة)
لوتاريو ـ يسعدني ان ارحب بكما في بلدي .. بل في بيتي
(يقدم شيئا الى مينون ويستطرد) ..
وهذه هديتي لك ايتها الصغيرة . تجدين فيها كتابا للصلاة ..
(تقوم مينون . خطواتها تبتعد مع موسيقى . تعود)
مينون ـ لقد وجدتها .. وجدتها ..
(تجري مرة اخرى مع موسيقى ، ثم تعود)
مينون ـ اتعلمان لمن هذه الصورة ؟ انها امي .. امي .. امي
(تقبل الصورة بنهم .. يحتضنها لوتاريو بقوة وعيناها تدمعان)
لوتاريو ـ حبيبتي سبيراتا .. ابنتي (صمت ، يخاطب فلهلم).. ليست هذه يا سيدي مينون فتاة البار التي عرفتها .. انها سبيراتا التي فقدتها ذات يوم ..
فلهلم ـ حبيبتي سبيراتا ؟
(نشيج بكاء . يتعانق الجميع ـ موسيقى الختام)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* وفي مذكرات جوته ، التي اسماها « الشعر والحقيقة » يصف المفاجاة التي قابلته على اعتاب المسرح ، وهو يهم بالخروج ، فيقول ان بعضا من طلبه الجامعة احاطوا به معجبين باديء الامر ، ثم ما لبث اعجابهم ان تحول الى وابل من الاسئلة :
احدهم ـ يا سيدي .. اين انت في فلهلم ميستر ؟ لقد عودتنا ان نراك دائما في اعمالك الادبية .. فانت الى حد ما فرتر ، كما انك الى حد كبير فاوست في الجزء الاول الذي صدر من هذه الدراما ... ولكن اين انت في رواية اليوم؟
جوته ـ من الاخطاء الشائعة ، ان يحاول القاريء او الناقد ، ان يطابق بين ملامح الشخصية في العمل الفني ، والملامح الواقعية للمؤلف ذاته . ذلك ان الفنان لا ينقل نفسه او شخوصه الحقيقيين الى العمل الادبي ، كما هم في واقع حياتهم صورا طبق الاصل . وانما هو يستلهم من الواقع بعض الصور ، ومن تكوينه الذاتي ، البعض الاخر .
اخر ـ لم تكن شارلوت وزوجها البرت اذن على حق ، حين قرأنا اتهامهما لك ـ ولا تؤاخذني بتزويد صفاتهما التي طالعاها على الورق.. اعني في قصة فرتر ..
جوته ـ (ضاحكا) من الخطأ كما قلت ، ان نحاول المطابقة ، فمثلا انا احببت شارلوت ، ولم انتحر بينما فرتر ـ كما كتبت ـ انتحر فعلا.
الاول ـ نعود الى فلهلم ميستر .. هل انت هو يا سيدي ؟ ومن هي مينون ؟؟
جوته ـ يمكن القول باني قريب الشبه من فلهلم ، فقد حاولت في الجزء الاول من الرواية ان ادون بعض ذكرياتي الشخصية ..
الاخر ـ فمن هي مينون ، اوسبيراتا ؟
الاخر ـ فمن هي مينون ، اوسبيراتا ؟
جوته ـ (يتنهد) لم يعد هناك سر.. فسبيراتا هي زوجتي كرستيانا، التي احببتها رغم ان طبقتها ما كانت ترتقى الى مستوى البلاط الذي اعمل مع اميره ..
الاول ـ في اغنياتك الاخيرة ، قصيدة تصور بها بعض المشاهد التي رايناها في مينون .. ولا ريب انك قصدت بها هذه الزوجة .. انطمع في سماع هذه القصيدة ؟
(موسيقى مناسبة ترافق القصيدة)
جوته : « ذهبت الى الغاب ، لا ادري فيم ذهبت ،
وما كنت اريد شيئا ، ولا عناني ان اريد ..
فانى لارسل النظر في ظلالها ، اذا زهيرة هنالك مضيئة
هممت ان اقطفها ، فسمعتها تقول في لطف ورخامه
اقاطفي انت لاذوى في يديك بعد هنيهة ؟

ـ التتمة على الصفحة ٧٥ ـ

جوته : حياته وفكره

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣٠ ـ

فحنوت قليها ورفعتها من جذورها
ونقلتها الى حديقة البيت البهيج ..
وهنالك غرستها من جديد في مكان فريد
فترعرعت ، ولم يفارقها الرواء .»

شاب ـ عظيم يا سيدي .. وان كانت هذه القصيدة تثير مشكلة هامة . فان شعرك كله يتميز بهذا اللون الغنائي .. والقصيدة الغنائية هي في صميمها قصيدة رومانسية .. مع اننا قرأنا لك هجوما على الرومانسية بعد صدور « فرتر » .

جوته ـ يا اصدقائي ، ليست الرومانسية مذهبا يمكن اتباعه في القرن العشرين مثلا .. ان الكلاسيه او الرومانسية او غيرها ... نظرة الى الوجود ، يرى بها الفنان كل ما تقع عليه عيناه في الكون والانسان والمجتمع .. ووجهة النظر هذه ، يستخاصها المتلقي من الموقف العام للعمل الفني ، اما ان يقال ان هذه القصيدة غنائية فهي رومانسية ، فاننا نخلط بين الامور ... لان الغناء ليس قاصرا على اتجاه دون اخره . ليس المهم ان تكون هذه القصيدة غنائية او لا تكون ، المهم هو النظرة ، هو الفلسفة التي تحملها هذه القصيدة : هل هي تثير الدموع والكآبة ، وتقوى الشعور الفردي والاحساس بالذاتية ، فتكون بحق رومانسية في نظرتها للحياة ، ام هي غير ذلك ؟

الاول ـ اننا ندرس الادب ، واللغة تشكل عندنا قضية هامة ، فماذا نصنع ؟

جوته ـ اسلك بنفسك السبيل القويم ، ولا تكن مثل مضحكي القصور ، كثيرة ضوضاؤهم ، خاوية عقولهم ، واخلق بالمرء ، اذا اوتي عقلا وفطنة ، ان يبلغ ما يشتهي ، من غير حاجة الى الصنعة والتكلف.. فلو كان لديك امر هام تريد ان تقوله ففيم السعي وراء الالفاظ والعبارات ؟

الاخر ـ ان اهتمامك بالعلم ، يفوق اهتمام اي اديب اخر بهذا الفرع من فروع المعرفة ، فهل لنا ان نعرف السبب ؟

جوته ـ اي رباه ، ما اطول العلم ، وما اقصر العمر . لطالما ملأت رأسي وصدري المخاوف على تلك الابحاث العلمية التي أكابد في تحصيلها كل عناء ، خشية ان توافي المرء منيته قبل ان يبلغ من العلم مأربه .. ما كفى المرء ان يعاني الشدائد الجمة في احراز وسائل المعرفة التي لا بد منها للوصول الى الهدف الاسمى ، فلا يكاد يبلغ منتصف الطريق حتى يقضي المسكين نحبه .

الاول ـ ظللت دائما تقرن التفكير بالتعبير .. اتعتقد ان الانسان لا يفكر الا اذا عبر عن تفكيره ؟

جوته ـ ومن ذا الذي يجرؤ على تسمية كل شيء باسمه الصحيح ؟ ان القليلين الذين وفقوا لفهم اسرار الكون وبلغت بهم البلاهة ان باحوا بمكنونات صدورهم كان جزاءهم ان قتلوا او صلبوا او احرقوا ... ولو انهم اثروا كتمان صوت الحق بين ضلوعهم ، لاصابهم الجنون . ان عملية التفكير تتضمن تلقائيا حرية التعبير .

الاخر ـ حسبي اذن ، ان اقرأ الاف الكتب ، لاصبح مثقفا وافسر معميات الوجود ؟

جوته ـ وماذا يجديني ان اقرأ الاف الكتب ، وبنو الانسان ما برحوا في شقاء دائم في كل زمان ومكان ، وان ظهر في العالم من آن لآن رجل سعيد ؟ (يتنهد) . يبدو لي في احيان كثيرة ان دور الفلسفة الذي كان ينتهي عند حد تفسير العالم ، يجب أن يتطور الى دور اخر هو الاسهام في تغيير هذا العالم .

(فاصل موسيقي)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* كنت اقرأ الليلة ، التقسيم الذي آثره اميل لودفيج في توضيح الاطوار الهامة في حياة جوته الفنية ، فهو يقسم هذه الحياة الى اربعة مراحل ..

ـ الاولى ، تنتهي عند سنة ١٧٧٥ وهو دور التكوين ، فيه انتج جوتز وفرتر والجزء الاول من فاوست وتنتهي المرحلة الثانية عام ١٧٩٤ حيث كان جوته قد تأثر زمنا بالفن اليوناني ، فكتب روايات ايفجينيا ، وتاسو ، ومسرحية اجمون ، ورحلة الى ايطاليا ، وحكاية الثعلب .

ـ وتنتهي المرحلة الثالثة عند سنة ١٨٠٥ بعد ان تعرف على صديقه شيلر ، وتأثر بروحه الفلسفي في بعض ما كتب من قصص امثال صبي الساحر ، الله والراقصة ، طالب الكنوز ، تلمذة فلهلم ميستر ، مسرحية هرمان ودوروشي

ـ وتنتهي المرحلة الرابعة عام ١٨٣٢ ، وهو دور الشيخوخة . او الدور الذي بدأ بموت شيلر ، وانتهى بموت جوته . وفيه اشتغل بالمباحث العلمية ، وكان ينصرف عن الادب واهم ما كتب في هذه المرحلة « قصة الانساب المختارة ، وترجمة حياته المسماة بالشعر والحقيقة والديوان الشرقي ، ورحلات فلهلم ميستر ، وتتمه فاوست »

وبعد ان قرأت هذا التقسيم الذي اعجبني فيه الدقة والوضوح، ولم يعجبني ما اتسم به من حسم قاطع .. قمت بزيارة بعض اصدقائي، وكانوا قد حددوا هذا المساء موعدا لمناقشة « فاوست »

ـ نقلة موسيقية ـ

احد الحاضرين : اسطورة فاوست قديمة يردها هايني ، الى ما قبل غزو النورمان للبلاد الانجليزية ويقول ان احد شعراء القرن الثالث عشر ، نسج على منوالها في احدى منظوماته الصوفية ، وخلاصة الاسطورة ، ان فاوست هذا كان رجلا ورث عن عمه مالا ، وتعلم كل علم في زمانه ، فاستبحر في حقائق الدين والطب والفلسفة ، فلم يظفر من حقيقة الكون بطائل . فاستولى عليه القنوط ، وادركته حسرة على شباب لم يستنفده كله في المتعة والسرور ، فبرز له الشيطان يساومه على روحه وجسده ، فقبل المساومة ، على ان يمد له الشيطان في الشباب اربعا وعشرين سنة .

اخر ـ هذه هي الخرافة القديمة ، فلما جاء القرن الثامن عشر ، تناولها الناقد الالماني لسنج ، فافرغ عليها روح ذلك القرن المتعطش الى المعرفة والحرية ، فلم يشأ أن يجعل الطمع في استجلاء الحقيقة ، والشوق الى استطلاع اسرار الجنس والنفس مأثمة يعاقب عليها المرء باللعنة السرمدية ، وجعل الرهان بين الله والشيطان رهانا خاسرا لحزب الشيطان وأظهر هذه الخاتمة في الفصل الاول ، فانتهى الفصل وصوت ينادي من السماء حين فرح الشيطان بغنيمته « لن تفلح فيما تريد » .

فتاة ـ ويقول الكاتب جيرار دي نرفال ان جان فاوست كان من مدينة مايانس ، وانه في سنة ١٤٥٠ . ساعد جوتنبرج مخترع المطبعة بماله الى الوصول الى اختراعه ، ثم استغله استغلالا رهيبا حتى اضطره الى ان يتنازل عن اختراعه . وانه بعد ذلك حمل هذا الاختراع الى فرنسا حيث عرضه في قصر لويس الحادي عشر ، ومات في باريس بمرض الطاعون . ثم يقول الاديب الفرنسي ، ان رهبان الاديرة نقموا على فاوست تشجيعه لاختراع المطبعة ومساهمته فيه ، فلفقوا حوله تلك الخرافات للنيل منه .

شاب ـ وقد تناول جوته قصة فاوست في مسرحية من جزءين يقعان في ثمانية فصول . وفي الجزء الاول نلمح اوجه الشبه بين قصة ايوب في الكتب الدينية ، ومأساة فاوست . فهما يتشابهان في ان الشيطان في كليهما قد اختار فاوست من بين البشر اجمعين . ليكون موضوع الرهان بينه وبين الله . هل سيربحه الشيطان ، فيبتعد عن حياة العلم والبحث والرهبنة الاختيارية ، أم سيظل فاوست محتميا خلف اسوار معمله لا ينزلق الى الهاوية ، فتصدق فيه ظنون الالهة .

الفتاة ـ إنني أرى جوته ، قد نجح تماما في الجزء الاول ، حين استعرض في ثلاثة فصول ، الحياة الاوروبية في ذلك الوقت . فقد صحبه الشيطان الى الحانات والحفلات الماجنة ، ولم يفلح . ثم اخذه الى ساحرة تعيد الشباب الى الشيوخ بعصير عجيب . وهنا دبت الحياة في أوصال فاوست ، وأحس بالربيع يملأ وجدانه .

الشاب ـ لذلك يمكن القول بأن جوته كان فاوست نفسه ، لانه بالفعل تورط في الحب والنساء ، حتى بلوغه الشيخوخة . لا شك انه كان وسيما ، ومشهورا ، ولكن ، أهذا يكفي لتحبه النساء ؟

الفتاة ـ ربما نعود الى هذه النقطة فيما بعد . فقد أحبته فتاة في سن حفيدته ، وهامت به في عشق مبرح ، سجله في روايته « الانساب المختارة » .. اما قولك ، بانه كان فاوست ، الا يتعارض مع رأي النقاد الذي يؤكدونه ، وهو ان جوته ، كان تلميذ فاوست الذي رافقه فترة طويلة ؟

الشاب ـ ربما .. ولكن ما رأيك في ان احداث الجزء الاول من فاوست تكاد تكون مطابقة لما حدث في حياته الخاصة ؟ فالفتاة التي مهد لها الشيطان طريق الغواية على يد فاوست ، تتشابه الى حد كبير مع الفتاة التي احبها في اخريات ايامه ... والخاتمة المأساوية التي انهى بها الرواية ، هي ظل قريب لخاتمة القصة الحقيقية اذ كان من المستحيل ، ان يتزوج جوته بفتاة صغيرة كهذه . فرغم ان اميرفيمار الح على امها ان توافق على ذلك ، الا انها لم ترض ، وهي التي كان يغازلها جوته قبل ان تنجب هذه الطفلة .

آخر ـ يبدو ان حب جوته لهذه الفتاة ، لم يكن غراما بمعنى العشق .. لان حياته معها كانت غريبة . فقد عرفها طفلة صغيرة وحنا عليها ، الى ان بدأت تنمو وتكبر ، واحساسه نحوها ايضا ينمو ويكبر ، حتى خيل اليه ان هذا هو الحب .

الفتاة ـ قلت اننا سنعود الى هذه المشكلة عند مناقشة روايته « الانساب المختارة » ... والسؤال الاول ما يزال معلقا : من هو جوته في دراما فاوست ؟ هل هو فاوست نفسه ، هذا العالم المتشكك القلق.. هذا الانسان الذي بلغت به توترات عقله ذات ليلة ، ان فكر في الانتحار .. لنستمع اليه يقول :

جوته ـ « اجل .. لم يبق الا ان تولى شمس هذا العالم ظهرك بعزم ثابت . ولتكن لديك الجراة على تحطيم تلك الابواب التي يهلع من منظرها الجبناء ، ويجزعون من اقتحامها .... لقد آن لك ان تثبت بالفعل ـ لا القول ـ ان كرامة الانسان لم تجبن عن التطلع الى مقام الآلهة . وانك لن ترتعد فرقا امام ذلك الغار المظلم الذي يتصوره الوهم مليئا بالهول والعذاب . لتقتحم الطريق الذي يوصلك اليه ، ولو اعترضتك نيران الجحيم المستعرة . انها لخطوة هائلة ، واخلق بك ان تخطوها بقلب طروب ، وعزم لا ينثني . اجل ولو لم يكن من ورائها سوى الفناء والعدم » .

الفتاة ـ هذا ما قاله فاوست بالحرف .. ونعلم ان هذه اللحظة النفسية الحادة قد اجتازها جوته فعلا ، بعد ان نقلته فلسفته العلمية من الايمان بالمسيحية الى الاقتناع بالعلم . ومن ثم تهدم من وراء ظهره هذا الجدار السيكلوجي الضخم الذي كان يستريح بالاستناد عليه .

الشاب ـ ولكني ، ايضا ، أرى تشابها بين جوته وتلميذ فاوست في الرواية . فهذا التلميذ شغف بالعلم واستطلاع المجهول شغفا لا نعرفه الا في جوته .. فنحن مثلا نراه يقول :

التلميذ ـ « سرعان ما يعتريني الملل لو تركت الكتاب لحظة . وما أراني حسدت طير السماء يوما ، او تمنيت ان يكون لي اجنحتها وطيرانها، وشتان بين مثل هذا السرير ، وبين النشوة التي يحسها المرء ، حين يطالع مختلف الاسفار مقلبا الصفحة اثر الصفحة . مثل هذا يجعل ليالي الشتاء حلوة جميلة . ويبعث الروح والحياة في كل جارحة من الجوارح. وناهيك اذا حللت في العلم معضلة او اهتديت الى سر جديد. فهنالك تنزل اليك السموات السبع ، وتصبح كلها بين يديك » .

الشاب ـ هذه الاحاسيس لا نجدها في صورتها العليا الا عند جوته .

الآخر ـ (ضاحكا) ما رأيكم في أنني أرى شيئا من جوته في صورة الشيطان الذي اغوى فاوست ؟ فقد راينا الشيطان مزيجا من الجد والهزل ، انسان مهذب صقلته المدنية ، يسخر من النساء ، ويحلل شذوذ اخلاق الناس في تهكم لاذع . يرى الحياة اضحوكة ، والفضيلة كلمة جوفاء .. وهذه جميعها صفات ليست بعيدة عن شخصية جوته ..

الفتاة ـ هل تريدون القول ، بأن جوته هو فاوست ، وتلميذه ، والشيطان .. جميعا ؟

الشاب ـ ولم لا ؟ الامر في بساطة انه رسم نفسه في ثلاثة اوضاع مختلفة .. هذا كل شيء .

آخر ـ بل ان هذا ـ لو صح ـ لكان دليلا حاسما على تشتيت جوته واضطرابه وبعثرة روحه . وفي الجزء الثاني من فاوست يتضح هذا الاضطراب سواء في الاطار البنائي للدراما ، او في الاحداث نفسها .. اذ تراه ، وقد اصبح شابا فتيا ، بفعل اكسير الحياة ، اخذ يعبث بكل شيء : يترك فتاته تتحمل وزر عارهما وحدها ، فلا يحاول انقاذها ، لان الوقت كان قد فات ، وجاء الشيطان ليتسلم روحه ويذهب الى الجحيم .

الفتاة ـ بعد ان اكتشف بطلان الحياة ، وعبث الوجود الانساني .

الشاب ـ كلا ... بل بعد ان اكتشف ضلال الطريق الذي سار فيه .

الفتاة ـ هذا لا يلغي القضية ، فليست طرق الحياة كلها ممهدة وما تزال تجارب الانسان المستمرة تكشف المجهول منها .. وتجربة جوته احدى هذه التجارب .

الاخر ـ انها تجربة القلق المر .. كان قلقا دائما .

الفتاة ـ ولهذا ، قلما انقطع الى مؤلف واحد زمنا يسيرا ، ثم يتركه ويأخذ في معالجة غيره ، ثم يترك الادب والشعر فجأة ، وينصرف الى العلوم الطبيعية واللهو والملذات ..

الشاب ـ ولهذا ايضا نرى مؤلفات جوته تنحصر في قصيدة كتبها وفرغ منها ، او كتب طويلة قضى في كتابتها سنين عديدة يتركها ثم يعود اليها ، او قطع بدأها ثم تركها ولم يعد اليها .

الآخر ـ ما رأيكم لو قصر همه على الشعر وحده او الادب وحده ، اما كان ينبغ فيه نبوغا اجل واسمى مما وصل اليه فعلا ؟

الفتاة ـ هذا القول له وجاهته . على ان من أكبر مميزات شعر جوته انه يتناول نواحي شتى من الحياة .

وكان من المستحيل عليه اخراج هذه الصور المتعددة ، لو لم تكن عبقريته متعددة النواحي مختلفة المشارب .

فنـدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

الشاب ـ ومن يدري .. لولا تعدد ميوله لاستقر في دراسة القانون ، غير انه خرج على ارادة استاذه حين اراد اقناعه بأن الادب شيء تافه ، يجب الا يأبه له طالب جاد ..

الاخر ـ ولكن جوته حاول ان يخلص اولا للدرس ، فكان في الفترة الاولى مقبلا على المحاضرات التي أوجبتها عليه دراسة القانون . غير انه ما لبث ان ادركه السأم وفترت همته ، ولم يعد يواظب على الدرس . ولعل تجاربه هذه هي التي أملت عليه فيما بعد ذلك الحوار البديع بين فاوست وتلميذه .

(فاصل موسيقى)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* ما زلت حائرة في هذه النقطة من نقاط البحث : ان الديوان الشرقي الذي كتبه جوته مستعينا بأخيلة الشرق واساطيره لا تستغلق على قصائده رغم غموضها وسحرها . ولكن السؤال هو : لماذا اختار الشرق بالذات ؟

جوته ـ « احسست احساسا عميقا بوجوب الفرار من عالم الواقع المليء بالاخطار التي تهدده من كل جانب ، في السر والعلانية ، لكي أحيا في عالم خيالي مثالي ، أنعم فيه بما شئت من الملاذ والاحلام بالقدر الذي تحتمله قواي » .

* هذه الغربة الروحية ، أيمكن ردها مثلا الى المرحلة الرومانسية التي كان يعيشها المجتمع الاوروبي في ذلك الحين ؟ أم هي نتيجة الحب الطفولي الذي احتوى قلب جوته منذ صباه نحو آداب الشرق التي قرأ طرفا منها في التوراة والاداب الفارسية والتركية والعربية ؟ لقد حاول مرة ان يكتب عن النبي العربي مسرحية كتلك التي كتبها فولتير ، ثم قال في تردد :

جوته ـ « ان فولتير لم يفهم الرسول العربي حق فهمه . انه لم يتخلص من رواسب المسيحية الكامنة في اعماقه، وهو ينظر الى محمد.. ذلك البطل الانساني العظيم . انني اتمثل عبقريته في دعوته الى الله الواحد في السماء ، وسط شعب يؤمن بتعدد الآلهة البشرية على الارض .. أتمثل هذه العبقرية ، فلا أجد نفسي في مستوى الكتابة عنها » .

* ولكن هذا الاحترام العميق ، يوثق صلته بالاداب الشرقية ، فيلتهم كل ما كتبه الشاعر الفارسي « شمس الدين حافظ الشيرازي » فيسجل في مذكراته عام ١٨١٥ :

جوته ـ « استطعت ان احصل في العام الماضي ، على ترجمة المانية كاملة لديوان حافظ . واذا كنت لم اظفر بشيء من قراءتي لما ترجم لهذا الشاعر العظيم من قبل في الصحف والمجلات ، فان مجموعة اشعاره قد اثرت في تأثيرا عميقا قويا ، حملني على ان انتج وافيض بما احس واشعر ، لاني لم أكن قادرا على مقاومة هذا التأثير القوي على نحو آخر . لقد كان التأثير حيا قويا ، فوضعت الترجمة الالمانية من بين يدي ، ووجدت نفسي اندفع الى مشاركته في وجدانه . واذا بكل ماكان كامنا في نفسي ، مما يشبه مايقوله حافظ ، سواء في موضوعه ومعناه او في شكله ومبناه ، شعرت به قويا ملحا ملبيا حاجتي الى الفرار من عالم الواقع المليء بالاشواك ، الى عالم اكثر جمالا » .

* والديوان ـ في جملته ـ يشيد بطبيعة الانسان وقواها ، ويحمل طابع التفاؤل والاقبال على الحياة ، ويدعو الى المؤاخاة بين الامم والشعوب . ثم هو مليء بنظرة عميقة الى الحياة بجميع مظاهرها . وهو يقدم الديوان بتبرير لهذه الهجرة الروحية الى الشرق .

جوته ـ « الشمال والغرب والجنوب ، تتحطم وتتناثر ،
« والعروش تثل ، والممالك تتزعزع وتضطرب .
« فلتهاجر اذن الى الشرق في طهره وصفائه ،
« كي تستروح جو الهداة الاولين ،
« هنالك حيث الحب والشراب والغناء ..
« اود ان اقود الاجناس البشرية .

* وينقسم الديوان الى قسمين كبيرين : القسم الاول يحتوي الشعر، والقسم الاخر يحتوي التعليقات التي ذيل بها الشاعر ديوانه . ويتكون القسم الاول من اثنى عشر موضوعا اعطى بعضها عناوين فارسية .واللحن السائد على الديوان هو الحياة .. فهو يغني :

جوته ـ « الا فلتطرح كل مايعوق مجراك ،
« ولا تسع هذا السعي الكئيب .
« ان على الشاعر قبل ان يغني ،
« وقبل ان ينقطع ، ان يحيا .

* فهو هنا يهيب بكل من يريد قرض الشعر ان يحيا اولا ، ثم يعبر عما حييه . ولقد اكد هذا المعنى اكثر من مرة ، فكان دائما يردد :

جوته ـ « الحياة وحدها هي التي تعطي الحياة . أي ان تحيا حياة مليئة ، هذا وحده هو الذي يجعلك حيا حقا . ان غاية الحياة هي الحياة نفسها » .

* لذلك سخر من الشعراء الرومانسيين ، واتهمهم بانهم يريدون احالة العالم الى ملجأ للعجزة والمشوهين :

جوته ـ « انهم يطفئون نور البهو في ارض الله ، محيلين اياه الى وادي احزان وبؤس ، هنالك نكتشف نحن سريعا ، كم هم انفسهم بائسون » .

* ولو تذكرنا في أي وقت صرخ جوته بكلماته هذه ، اي في العصر الذهبي للرومانسية ، لادركنا اية شجاعة روحية كان ينطوي عليها قلب الرجل . تلك الشجاعة التي مضت به في طريق وعر ، لم يثنه ابدا عن المضي ـ رغم الصعاب والمشاق ـ مؤمنا بان الطريق الحق لا يؤلم ذويه :

جوته ـ « الواحد ، تلو الواحد ، يجري ويسير ،
« بل ، وقبل الاخر احيانا يخطو ،
« فاجعل سبل الحياة اذن تمضي .
« مندفعة سريعة جريئة منطلقة ..
« ان الازهار تنظر اليك في غرام ،
« تستوقفك ، ان تقطف منها ماتهواه ..
« فلا شيء ادعى للتقهقر ..
« من ان تكون زائف الطريق .

* الطريق الزائف ، هو مايحذر منه البشرية ، اذ غالبا مايؤدي الى الهاوية . والهاوية كما يتخيلها جوته هي ذلك الظلام الاسود الذي يعيش فيه الانسان مكبلا باصفاد الذل . لذلك كان تصوره لرسالة الفنان يختلف عن تصور العصر الذي عاش فيه . انه يرى في الفنان نبيا .. رسولا.. كلماته لاتجلجل في الفضاء الاجوف ، وانما يصنع بها الغد المشرق لجميع البشر .. انه يرى في كلمات الفنان قداسة علوية تسمو فوق كل المرئيات :

جوته ـ « واود ان اتعلم كيف تقدس الكلمات ،
« لا لشيء ، الا لانها كلمات فاهت بها الشفاه .

* ثم يضيء قلب الانسانية ، فيشعل بين جنباتها نورا لاينطفيء ..

تطلب ((الاداب))
في الجزائر من :
دار الكتاب
لصاحبها السيد خالد القرطبي
نهج كولو علي رقم ٤ ـ بليدة ـ الجزائر

نورا يتوهج باعمق المعاني ، وانبل المشاعر :

« موسيقى مناسبة ترافق القصيدة »

جوته ـ « يغزوك شعور غامض غريب ،

« حين تضيء الشمعة الوديعة ..

« حينئذ لاتظل غارقا ،

« في ظلال الظلام الظليلة ،

« بل تمزق فؤادك نزعة جديدة ،

« نحو اتحاد اعلى وامتزاج سـام ..

« ولن يعوقك البعد مهما طال ،

« بل ستأتي سريعا قد اخذك السحر ،

« فنعشق النور ..

« واخيرا ، يحترق كما تحترق الفراشة ،

« وطالما لم تفهم هذا الحديث :

« بت واستحل الى شيء جديد !

« فستظل ضيفا مجهولا معتما ،

« على هذي الارض المظلمة .

(موسيقى)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* كانت محاضرة الامس تهمني بشكل خاص . ولا ريب ان الناقد الزائر تحدث في روعة عن هذا الموضوع الحيوي الشائك « جوته بين الادب والعلم » فقد استخلص فلسفة الشاعر ، بل ديانته ، من هذا المزيج الغريب بين الادب والعلم ، الذي يتميز به جوته في تلك الفترة العصيبة من تاريخ اوروبا * قال الناقد الاجنبي :

الناقد ـ لن احدثكم عن روايات جوته واشعاره . وان كان البناء الفني لهذه الاعمال الادبية يمكن ان يلقى شيئا من الضوء على قضية اليوم . فالملاحظة الاولى في اعمال جوته جميعها ، هي التفكك . نراه واضحا فيما كتبه من قصائد وقصص . فهو يجيد رسم الشخوص وتصوير الاحداث ، ولكنه لايجيد الربط بين تلك الشخوص وهذه الاحداث . ومعي الان بعض الاصدقاء ، ممن توفروا على دراسة فلسفة جوته ، وسنتبادل جميعا الحديث .

اخر ـ في اول الامر يجب ان نقر بحقيقة هامة . وهي ان الفلسفات في ذلك العصر ، كانت تصنع للناس عقائدهم الدينية . فمن كان يؤمن بالمذهب البروتستانتي مثلا ، كان يجلب له من الاسس الفلسفية مايؤيد القواعد الاساسية لهذا المذهب ، وهكذا في بقية الاديان ـ والمذاهب الاخرى * ولكنا نرى عيبا رئيسيا نشأ مع تعدد هذه الاتجاهات الفلسفية والدينية ، هو التعصب . فقد ظل الآفة الرهيبة التي تأكل الحريات والضمير الانساني ، زمنا طويلا . فلم تكن الارض ممهدة اذن امام جوته فيقدم فلسفة جديدة ، قد تزيد من حدة التعصب ، وان اضافت الى المعرفة الانسانية شيئا جديدا . لذلك رأى جوته أن يمهد لفلسفته بمبدأ لم يكن غريبا على البصائر المستنيرة ،هو العمل على تقديس حرية العقيدة في المجتمع ، قبل اي مبدأ اخر . ومن اجل هذه الحرية كتب مسرحية « ايجمون Egmonn » التي استمد حوادثها من حياة فارس من فرسان القرون الوسطى الذين ناضلوا في سبيل تحرير اوطانهم وانقاذها من نير اعدائها . وكان اسمه «الامورال كونت دي ايجمون» وكان بلجيكيا ولد بمدينة بروكسل ، واشترك مع ملك اسبانيا « شركان » وخليفته « فيليب الثاني »في عدة حروب، ثم ترك خدمة هذا العاهل الاخير وانفصل عنه عندما اخذ يجور في حكم رعيته ، وخاصة في بلاد «الفلاندر» بروكسل التي ينتمي اليها«ايجمون»فانشأ فيها محاكم التفتيش لادانة البروتستانت ، وكان ان عين فيليب الثاني حاكما على بلجيكا من احد اعوانه المشهورين بالظلم والجور ، واسمه « الدوق دالب » فاتهم ايجمون بالتآمر على الملك ، ولم تنفع شفاعة اصدقائه ، فاعدم في احدى ساحات مدينة بروكسل ، وصار البلجيكيون ينظرون اليه ، كاحد ابطالهم الذين ناضلوا في سبيل حرية بلادهم .

والموضوع كما ترون جدير بان تستوحى منه تراجيديا رائعة ، كما فعل جوته في مسرحيته التي ستعرضها احدى الزميلات .

نقله موسيقية

(صوت الزميلة)

« بدأت القصة ، بان فيليب الثاني ، نصب من لين مرجريت دي بارم التي كانت تحكم مقاطعات هولندا ، فشاء ان يولي عليها من يحكمها بالعنف ، ويأخذها بالشدة ، فارسل بدلا منها الدوق دالب . وكان الملك يخاف زعامة البرنس دورنج والكونت دي ايجمون ، ويتهمها بانهما يمالئان البروتستانت سرا * وقد مثل جوته « ايجمون » في صورة محبوبة ، فجعله صديق جنوده البواسل الذين قادهم الى النصر مرارا، وامين الاميرة الاسبانية حاكمة البلاد ، وزعيم مدينة بروكسل المطالب باستقلالها ، والمدافع عنها لدى البلاط الملكي . فاذا جاء الدوق دالب رغب البرنس دورنج الى ايجمون ان يهرب مختفيا عن مسرح السياسة كي ينساه الحاكم الظالم . ولكنه ـ اي ايجمون ـ ابى الهرب من المدينة وعاش منزويا في بيت معشوقته « كلارا » . جاء الدوق الى بروكسل فعم الخوف سكان المقاطعة، ولكنه جبن عن القبض على ايجمون. وكان له ـ اي للدوق ـ ابن يدعى فرديناند ، شديد الحب والحماس للبطل البلجيكي ، فرغب اليه ان يعمل للصلح بينهما وان يدعوه الى زيارة القصر ففعل الشاب ، وطمأن ايجمون قليلا . وقد خفق قلب الدوق جزلا وحبورا لان عدوه سوف يصبح في قبضة يده بعد لحظات. وما ان مثل ايجمون امامه حتى اخذ الدوق يتحدث اليه عن سياسة العنف التي اضطرته اليها الظروف ، محاولا بهذا الحديث ان يحمل الفارس الشريف على النفوه بكلمات تبرر القبض عليه . وبالفعل ، كان له ما اراد ، ولم تمض ايام حتى كانت الشائعات تملأ جنبات المدينة : ايجمون سوف يعدم . ولم يتحرك احد لانقاذه ، لان الذعر كان قد استولى على سكان المدينة ، كانوا لا يزالون متأثرين بالعنف والاستبداد * وحاولت عشيقته ان تصنع شيئا فما استطاعت . اما فرديناند ، فوعى انه كان اتعوبة في يدي ابيه، ولكنه لم يستطع انقاذه ايضا ، وان حاول تنفيذ وصية

صدر حديثا في القاهرة

١ ـ صفحات من حياة الرصافي وأدبه

بقلم هلال ناجي

وقد تضمن ثماني قصائد ورسائل نادرة بخط الرصافي الخالد

٢ ـ شعراء معاصرون

بقلم مصطفى السحرتي وهلال ناجي

دراسات نقدية عن ٢٤ شاعرا معاصرا

ايجمون له ، انه يحمي كلارا ويعنى بها ، ولكن هذه ايضا انتحرت ، ولم تدع له فرصة التكفير عن الدور الخطأ الذي قام بـه بغـير وعـي . ونفذ حكم الاعدام في ايجمون ، فأحس قلب الشاب فردينان بكراهيـة عميقة نحو ابيه ، لم تفلح الايام في محوها ، وكانت خير قصاص للدوق، وهو الذي لم يختلج قلبه بحب احد غير ذلك الابن .

(موسيقى)

الناقد ـ توفرت لهذه القصة كافة العناصر الضرورية لبـــناء التراجيديا . فقد سيطر على الاحداث صراع عنيف بين الحرية والعبودية بين الوطنية والاستبداد ، بين التعصب والتسامح في الدين . وقـد شرع جوته في تأليفها عام ١٧٧٥ حيث كان يتطور من مذهبه الوجداني القديم ، الى فهم جديد للفن . وقد رأى ان يبسط لنا فلسفته الجديدة اوديانته ، بعد ان مهد لها ايمانه الشديد بحرية الفكر والعقيـدة . وسيتفضل احد الزملاء ـ ممن درسوا هذه الفلسفة ـ بايجازها لنا ..

اخر ـ لا شك ان « الوحدة الوجودية » هي التعبير الوحيـد الذي يفسر لنا فلسفة جوته . والعنصر الرئيسي في هذه الفلسفة هو ما اسماه جوته بالظاهرة الاولية للاشياء . وهي الظاهرة التـي يدركهـا الوجدان الانساني فقط ، وان استعان في ذلك بالحواس البشرية الملموسة . فالعين مثلا ، ترى جزئيات النبات المختلفة ، ولكن وعينا الباطن يدرك بعدئذ « الظاهرة الاولية » للنبات ، اي صورة النبات الواحدة الثابتة ، فـي انواع النبات المتغيرة المتعددة ، وهذا الادراك يبدأ من الكائنات المركبـة في الوجود العضوي او الطبيعية الحية ، على تعبير جوته ، ويرتفـع قليلا قليلا ، حتى يصل الى هذا الوجود العضوي في ذاته فيدرك الوجدان في ورقة الشجرة « الظاهرة الاولية » لكل صيرورة في الوجود العضوي. وليس بعد الظاهرة الاولية مجال للادراك والبحث وانما هي الحد النهائي الذي يجب على الانسان ان يقف لديه .. يقول جوته .

جوته ـ ان الاوج الميسر للانسان هو بلوغه الدهشة ، فاذا مـا اوقعته الظاهرة الاولية في الدهشة ، فعليه ان يقتصر على هذا ويقنع ، لان هذه الظاهرة ليس في مقدورها ان ترتفع به الى اعلى ، وليس له هو الاخر الحق ، في انيضيف الى هذه الظاهرة شيئا ، فعندها الحد، وعندها النهاية .

الناقد ـ وهكذا يقف جوته بالمعرفة الانسانية عند حد ، رغم أن الجهد البشري الخلاق ، يقطع كل لحظة خطوات باهرة فيما يحرزه التقدم العلمي من انتصارات يومية مذهلة .. فما هو موقف جوته من القوانـين العلمية التي تضبط هذا الكون ؟

جوته ـ ان ايماني بهذا الكون .. بعظمته واتساعه ، هو ما اريـد ان تمر به قلوب البشر جميعا ، ثم اطلق على هذا الشعور ما تشاء من الاسماء . سمه السعادة او الحب او الله . فليس ثمة لهذا من اسم . فالشعور هو كل شيء . وما الاسم الا ضوضاء فارغة وبخار قاتم يكسو بالظلمة نور السماء .

الناقد ـ ولكن جوته ، لا يسمي هذه الفلسفة دينا . حتى لا يسقط المؤمنون بها في هاوية التعصب الاعمى . ان ايمانه بالحرية يفوق ايمانه بكل شيء .

جوته ـ « ليست الدعوة الدينية من شأني . ولكني كنت ابحث دائما وبكل اخلاص عن الوحدة الدينية او الفلسفية ان شئت . ولم اجد في تاريخ العالم كله دينا ، استطيع ان اعتنقه اعتناقا تاما . وهاانذا اسمع في اخريات ايامي ، عن شيعة الوثنيين واليهود والمسيحيين قد اعلنـوا جميعا استعدادهم لان يقدروا ويقدسوا كل ما يصل الى علمهم من كمال وسمو ، بل وان يعبدوه في الحال التي يكون فيها ذلك السمو والكمـال قريبا من الالوهية . وهكذا ينبثق امام ناظري من الزمان المظلم السحيق شعاع من النور ، ابتهج له واسعد ، لانني حاولت جهدي طوال حياتي ، ان اتسم بصفات هؤلاء .

الناقد ـ قد كرر جوته ، هذا المعنى ، فتساءل في روايته «ايمون»:

جوته ـ لماذا ؟ متى ؟ لا جواب عنه في السماء . اقتصر على كيف، ولا تسأل لم ؟

الناقد ـ ولا ريب انها وطأة العلوم المادية في ذلك العصر هي التي حملت الى جوته هذا التساؤل رغم خلوه من النزعة العلمية الصحيحة ، فان نسأل « لماذا » ؟ نكون قد بدأنا من نقطة انطلاق علمية . واذا كـان العلم لم يجب بشكل حاسم على كافة الاسئلة ، فان المشكلة ليست الا معركة زمن . انني ارى احدى الانسات تتحفز بسؤال :

فتاة ـ اريد ان اعرف : هل افاد ادب جوته من علمه .؟

الناقد ـ يمكن القول ان ادبه تأثر بما اشتغل به من علوم . ولكـن من الصعب ان نقرر ان هذاالتأثير كان مفيدا . ففي روايته « الانساب المختارة » ، اراد ان يطبق قانونا علميا لا ندري مدى صحته ـ على احداث الرواية ، وقد نسى ان القوانين العلمية تنبع من مجالاتها الخاصة ، فما نستخلصه من الكيمياء مثلا لا نفرضه على الادب .. وهذا ما فعله جوته، وما ستقصه عليكم احدى الزميلات .

الزميلة ـ كان جوته يؤمن بنظريه كيمائية تقول بان بعض العناصر المادية ، منجذب الى بعضه بالضرورة لان هناك « نسبا او قرابة » بـين هذه العناصر .. بينما هناك عناصر لمواد اخرى متنافرة اشد التنافر ، لان هناك عداء طبيعيا بينها . وعلى هذا الاساس بنى روايته ، فـوزع ابطالها المتجانسين بالفطرة في اماكـن متباعدة عن بعضها ، وقـرب المسافة بيـن شخوص خلوا من مادة اللحام هذه . فما ان اجتمع شمل الجميع ، حتى اتحدت النفوس المتقاربة بالسليقه ، وتباعدت الارواح المتنافرة .

الناقد ـ ذلك ان القصة تحكي ما احسه زوجان من شعور عميق بالوحدة ، رغم القصر الجميل الذي يضمهما . فكان ان ارسلت الزوجة الى ابنة اختها اليتيمة لتعيش معها في القصر ، بينما ارسل الزوج في طلب احد اصدقائه القدامى ليشرف على مزرعته الكبيرة ويعيش معهم . وما ان تم ذلك حتى وقع الزوج ـ رغم كبر سنه ـ في الفتاة الصغيرة، بينما احب الضيف زوجة صديقه .

الزميلة ـ ويقال ان جوته في هذه الرواية ، كان يروى قصة حبه الاخير .. فرغم كبر سنه كان قلبه ما يزال شابا فتيا ..

الناقد ـ ولكن القاعدة العلمية التي فرضها على الاحداث ، افسدت الجوهر الانساني للرواية .. (فاصل موسيقي)

(يعود صوت صاحبة المذكرات)

* غير ان جوته ـ في ذلك كله ـ كان مخلصا للانسان ، وفيـا للحياة ، مؤمنا بالغد . كتب في شبابه الى سلزمان Selsman يقول:

جوته ـ « غرست في طفولتي شجرة كرز ، وجعلت ارقب نموها ، وانا مغتبط مسرور ، فلما ازهرت جاء ضباب الربيع ، ثم انتظرت سنة اخرى فجاءت الديدان والافات ، ولكن .. ثق ، اني ساغرس شجرة اخرى كلما عثرت على حديقة .

* وفي اخر لحظات حياته ، هتف بمن حوله : « افتحوا النافذة ليدخل النور » .. ثم عجز عن الكلام ، فطفق يوميء باصبعه في الهواء، ويكتب بها كلمات واوائل كلمات .. كانه لا يريد ان يكف عن «التعبير» وفيه رمق حياة .

موسيقى الختام

القاهرة

غالي شكري

المراجع

١ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفاته

٢ ـ كتاب « هؤلاء علموني » لسلامه موسى

٣ ـ مقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لترجمه « الديـوان الشرقـي للمؤلف الغربي »

٤ ـ مقدمة الدكتور محمد عوض محمد لترجمة « فاوست »

٥ ـ كتاب « عبقرية جيتي » للعقاد

٦ ـ كتاب « الشرق والاسلام في ادب جوته » لعبد الرحمن صدقي

٧ ـ دراسات ومقالات متفرقة في الصحف العربية والاجنبية

٨ ـ كتاب « اضواء على جوته » للدكتور احمد عوض .